

النبي محمد صلى الله عليه وسلم كما يتصوره المستشرقون

دراسة تحليلية نقدية في كتابات بعض المستشرقين

إعداد أ. د : عبد الرحمان تركي

جامعة الوادي ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

الوادي / الجزائر

هاتف 777138115 00213

فاكس 32120765 00213

البريد الإلكتروني : adab---39@hotmail.com

tourki-a.rahman@univ-eloued.dz

أولا - ملخص :

جمع المستشرقون عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم من حيث نبوته وسيرته وأخلاقه معلومات كثيرة متنوعة ، ومن مصادر مختلفة ، لكن في كثير من الأحيان لا يصيبون الحقيقة من البحث العلمي النزيه أو الواقع كما هو في كتب السنّة والسيرة ، وينطلقون من حوادث تاريخية أو أحكام جزئية أو خلفيات مسبقة يهودية أو نصرانية ليستخلصوا منها أحكاما عامة تتعلق بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم لا يمكن التسليم بها دون تعديل أو تغيير ، وكثير من المستشرقين محكومون في بحوثهم ودراساتهم عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم بثنائية التنصير والاستعمار وبأخلاق الاستعلاء والعنصرية مما أوقعهم في مواقف وتصورات خاطئة لا تمت إلى الحقيقة بصلة .

ثانيا - الموضوع :

عني المستشرقون بدراسة سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم والكتابة عن نبوته ورسالته وأخلاقه وعلاقاته المتعددة خاصة مع أهل الكتاب ، وهم ينقسمون في دراساتهم إلى فريقين هما :

1- الفريق الأول :

يشيد بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم ويكشف عن مآثره وفضائله ومحاسنه الكثيرة ، ودوره في تحقيق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة ، وفي توطيد علاقاته مع بني جنسه من المسلمين وغيرهم ، ونذكر من هذا الفريق المستشرق الفرنسي ايتيين دينيه أو ناصر الدين دينيه⁽¹⁾ والمستشرق الألماني مراد

1- ايتيين دينيه : ولد في باريس سنة 1861م ، وكان فنانا وصاحب طبيعة متدينة وكثير التفكير والتأمل ، استمر طيلة حياته يناضل عن الإسلام ، ويناضل عن الشعوب الإسلامية ، سنة 1928م قام بأداء فريضة الحج وأتم كتابه (الحج إلى

هوفمان⁽¹⁾ ، والمستشرق الأمريكي جيرالد ديركس⁽²⁾ والذين أداهم حيادهم ونزاهتهم إلى الدخول في الإسلام .

فناصر الدين دينيه يؤمن بأن القرآن الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم هو المعجزة الخالدة ، بينما معجزات الأنبياء الذين سبقوا محمدا كانت في الواقع معجزات وقتية ، معرضة للنسيان والزوال ، ذلك أن تأثير الآيات القرآنية دائم ومستمر ، ومن اليسير على المؤمن في كل زمان وفي كل مكان أن يرى هذه المعجزة بمجرد تلاوة القرآن ، وفي هذه المعجزة نجد التعليل الشافي للانتشار الهائل الذي أحرزه الإسلام ، ذلك الانتشار الذي لا يدرك سببه الأوروبيون ، لأنهم يجهلون القرآن ، ويجهلون سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأخلاقه السامية⁽³⁾ .

يقول : "لقد حاول بعض المؤرخين المعاصرين أن يدعوا إلى الشك في ذلك الإخلاص العظيم المؤثر الذي امتاز به النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وحاولوا أن يصوروه في صورة رجل لا مؤهلات لديه للعظمة ، إلا الطمع المؤسس على المهارة ، ورأيهم هذا لا يصدر إلا عن شخص أعماه التعصب ، ولا يصدر إلا في زمن يشبه الزمن الذي كانت تقوم فيه محاكم التفتيش" ⁽⁴⁾ .

بيت الله الحرام) ، وتوفي سنة 1929م بباريس ونقل جثمانه إلى مدينة بوسعادة بالجزائر حيث دفن تنفيذا لوصيته ، واشتهر بكتابه عن حياة محمد صلى الله عليه وسلم . (ناصر لمجد : ناصر الدين ديني ، حياته وأفكاره ، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط1 ، 2011 ، ص 8 ، 15 ، 141 ، وعبد الحليم محمود : تمهيد كتاب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لاتيين دينيه وسليمان بن إبراهيم ، ترجمة عبد الحليم محمود ومحمد عبد الحليم ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1981م ، من ص 7 إلى ص 41) .

1- مراد هوفمان : ألماني مسلم ، اشتغل سفيرا لبلاده بالمغرب ، تحصل على دكتوراه في القانون من جامعة هارفارد ، اعتنق الإسلام يوم 25 سبتمبر 1980م ، كانت أول معرفته بالإسلام في الجزائر سنة 1962م ، حين رأى صمود المجاهدين في الثورة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي ، ولم يفهم من أين يأتيهم الدعم الخفي ، حتى قرأ القرآن . (الناشر : غلاف كتاب (الإسلام كبديل) لمراد هوفمان ، ترجمة غريب محمد غريب ، مؤسسة بافاريا للنشر ، ميونيخ ، ط1 ، 1993م ، صفحة الغلاف) .

2- جيرالد ديركس : قسيس سابق في الكنيسة الميثودية المتحدة ، وخريج كلية العلوم الدينية (اللاهوت) - جامعة هارفارد الأمريكية - ، وحاصل على درجة الماجستير والدكتوراه في الفلسفة من جامعة دنفر ، أسلم سنة 1993م ، ومن كتبه : إبراهيم خليل الله ، وفهم الإسلام ، والديانات الإبراهيمية ، والصليب والهلال ، والمسلمون في التاريخ الأميركي . (الناشر : غلاف كتاب (الصليب والهلال ، محاور في العقيدة بين المسيحية والإسلام) لجيرالد ديركس ، ترجمة فخري اللقيس ، دار اليمامة ، بيروت ، ط1 ، 2009م ، والانترنت : موقع الألوكة الإلكتروني) .

3- اتيين دينيه وسليمان بن إبراهيم : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ترجمة عبد الحليم محمود ومحمد عبد الحليم ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1981م ، ص 135 ، 136 .

4- اتيين دينيه وسليمان بن إبراهيم : المصدر السابق ، ص 138 .

ويورد من الأدلة على أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو نبي حقا ، يورد الحالات المصاحبة لنزول القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم مثل أن يتصبب جبينه عرقا⁽¹⁾ ، ومثل هذه الحالات تدل على صدق الرسول وإخلاصه في تبليغ قومه وأمته ، ومن الأدلة كذلك أن هذا الوحي الذي يأتيه يعاتبه إن أخطأ ، ويلزمه بالإنصات للقرآن وقراءته⁽²⁾ ، كما جاء في قوله تعالى : (لا تحرك به لسانك لتعجل به ، إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه)⁽³⁾⁽⁴⁾.

كذلك يؤمن المستشرق جيرالد ديركسأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم تلقى أول وحي أنزل عليه في السنة 610م ، ثم استمر الوحي بعد ذلك على شكل سلسلة من الآيات والسور حتى وفاته سنة 632م⁽⁵⁾ .

كما يؤمن أن القرآن يتألف من كتاب منزل واحد أوحى به جميعه إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم من الله بواسطة الملاك جبريل عليه السلام ، ويميز بين القرآن وهو الكتاب المنزل بالوحي من الله على محمد صلى الله عليه وسلم والحديث النبوي الذي هو روايات مسجلة لأقوال النبي وأفعاله وتقريراته . " (6) .

2 - الفريق الثاني :

ينظر إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم نظرة خوف من الإسلام ، ويقوم بناء على هذه النظرة بتشويه سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وتحريف لمآثره وجهاده وأعماله العظيمة ، ويدّعي الادعاءات الآتية : (7) :

1- ورد في صحيح مسلم ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : (إن كان لينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغداة الباردة ، ثم تفيض جبهته عرقا). (مسلم : الجامع الصحيح ، كتاب الفضائل ، باب عرق النبي صلى الله عليه وسلم في البرد وحين يأتيه الوحي ، دار الفكر ، بيروت ، ج 7 ، ص 82) .

2- اتين دينيه وسليمان بن إبراهيم : المصدر السابق ، ص 137 ، 138 .

3- القيامة 16 - 18 .

4- أبو عبد الله القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، طبعة 1965 ، ج 19 ، ص 106 ، وسيد بن محمود آل سليم : الصحيح من أسباب النزول ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ط 2012 ، ص 223 .

5- جيرالد ديركس : الصليب والهلال ، محاورة في العقيدة بين المسيحية والإسلام ، ترجمة فخري اللقيس ، دار اليمامة ، بيروت ، ط 1 ، 2009م ، ص 63 .

6- جيرالد ديركس : المصدر السابق ، ص 63 .

7- الموسوعة المفصلة في الفرق والأديان والملل والمذاهب والحركات القديمة والمعاصرة : إعداد مكتب التبيان ، إشراف علمي حسن عبد الحفيظ أبو الخير ، دار ابن الجوزي ، القاهرة ، ط 1 ، 2011م ، ج 1 ، ص 670 ، 671 ، 672 ، 682 ، 683 ، ومحمد إبراهيم شريف : اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم ، دار السلام ، مصر ،

- 1 - إن محمدا صلى الله عليه وسلم كان رجلا طموحا خطط للأدوار التي قام بها بعد مبعثه .
- 2 - تعلم فن الشعر ليستطيع نظم القرآن .
- 3 - لم يكن رجلا دون معرفة بالكتابة والقراءة كما يزعم المسلمون .
- 4 - اقتبس المعتقدات والقصص من الديانتين اليهودية والنصرانية ، ثم ضمّها القرآن .
وأهم سمات المنهج الذي اتبعه هذا الفريق من المستشرقين في دراسة حياة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته تتمثل فيما يلي (1) :
- 1 -قراءة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ودراسة أقواله وأفعاله بعقلية أوربية تؤمن بألوهية المسيح عليه السلام كما تؤمن بوجود فصل الدين ورجاله عن مجالات الحياة المختلفة .
- 2 - تبييت فكرة مسبقة ثم اللجوء إلى بعض النصوص لإثبات تلك الفكرة ، واستبعاد ما يخالفها .
- 3 - تحريف النصوص وعرضها عرضا مبتورا ، ومن ذلك تحريف كثير من حقائق الإسلام ورسائله وتاريخه ، وإنكار عالمية رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأنه رحمة للعالمين .
- 4- حمل حديث النبي صلى الله عليه وسلم على آراء وأنظار متباينة ، من أجل مساندة المذاهب الباطلة .
- 5- اختيار الأقوال الشاذة والأحاديث الضعيفة والموضوعة ، ثم الجمع بينها واستخلاص نتائج منها .
من هذا الفريق مستشرقان هما :
- أ - المستشرق المجري اليهودي اجناس جولد تسيهر⁽²⁾ الذي احتوت كتبه مغالطات شديدة وتصورات خاطئة حول النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، تستدعي الرد عليها ببيان زيفها وبطلانها ومجانبتها للسيرة النبوية المطهرة .

ط1 ، 2008 ، ص 68 ، 69 ، وأحمد محمد الفاضل : الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن الكريم ، مركز الناقد الثقافي ، دمشق ، ط1 ، 2008م ، ص 55 ، 56 .

1-الموسوعة المفصلة في الفرق والأديان والملل والمذاهب والحركات القديمة والمعاصرة، ج1، ص 670 ، 671 ، 672 ، 682 ، 683 ، ومحمد إبراهيم شريف : المصدر السابق ، ص 68 ، 69 ، وأحمد محمد الفاضل : المصدر السابق ، ص 55 ، 56 .

2-اجناس جولد تسيهر (1850/1921م) : مجري الأصل يهودي الدين ، حفلت حياته بالدرس والبحث والتأليف ، وكانت وفاته بمدينة بودابست عاصمة المجر التي كانت مجال نشاطه العلمي في الشطر الأكبر من عمره ، فقد أمضى فيها السنوات الأولى من دراسته ، ثم ارتقى به الحال حتى صار أستاذا بجامعة لها ، وانتهى به الأمر إلى اتخاذها مستقرا ومقاما دائما للبحث والدرس ، ونشر بحوثه ومؤلفاته . (محمد يوسف موسى وعبد العزيز عبد الحق وعلي حسن عبد القادر: مقدمة كتاب (العقيدة والشريعة في الإسلام) لاجناس جولد تسيهر ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ص ح) .

إن هذه المغالطات التي بثها في مؤلفاته ، تتمثل في النظر إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم على أنه بشر لم يوح إليه وليس نبيا ، وهو لا يستخدمناهج علمية قومية في دراسة حياة النبي وسيرته ، وإنما يحدد الغاية التي يريد الوصول إليها ، ثم يفتشلها عن النصوص والنقول التي توصله لتلك الغاية ، كأن يفترض أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو من أَلَّف القرآن ، أو أنه اقتبس من التوراة أو الإنجيل ، وهو يهدف من وراء كتاباته إلى التشكيك في صدق النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

1 - من مؤلفات هذا المستشرق كتاب (العقيدة والشريعة في الإسلام) ، وفي هذا الكتاب يرى أن التوراة والإنجيل (العهد القديم والجديد) من المصادر الرئيسية في الحديث النبوي ، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه استفادوا من رجال الدين اليهود والنصارى لاسيما في موضوع قصص الأنبياء والمرسلين والأمم القديمة .

يقول : " ما كان يبشّر به (أي محمد صلى الله عليه وسلم) خاصا بالدار الآخرة ليس إلا مجموعة مواد ، استقاها بصراحة من الخارج يقينا ، وأقام عليها هذا التبشير ، لقد أفاد من تاريخ العهد القديم ، وكان ذلك في أكثر الأحيان عن طريق قصص الأنبياء ، لئذ تكرر على سبيل الإنذار والتمثيل بمصير الأمم السالفة ، الذين سخروا من رسلهم ، الذين أرسلهم الله لهدايتهم ووقفوا في طريقهم .." (1).

ويقول كذلك : " ومما هو جدير بالذكر أن فقرات الأناجيل التي يكثر الاستشهاد بها في الحكم التي تحث على الزهد والتي تتحدث عن طير السماء التي لا تبذر ولا تحصد ولا تكس ولا تغذيها خالقها ، هذه الفقرات توجد بنصها تقريبا في لب هذه المبادئ الخاصة بالتوكل .." (2).

وهذا الادعاء نفسه نجده عند المستشرق الألماني آدم متز ، الذي يقول في كتابه (الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري): " وتدل أقدم الكتب الصوفية التي وصلت إلينا ، وهي مصنفات الحارث بن أسد المحاسبي المتوفي سنة 243هـ/858م دلالة واضحة على أنه تأثر بالنصرانية ، فإنه قد بدأ أحد كتبه بمثل الباذر المذكور عن المسيح عليه السلام" (3).

وفي هذا المثل تمثيل الهادي بالباذر ، وكلامه بالبذر ، والناس بأرض صالحة مثمرة ، أو أرض ذات شوك يخنق الزرع ، أو صخر أملس لا يمكن الزرع من النماء ، وهذا المثل موجود في إنجيل لوقا (4) ،

1- اجناس جولد تسيهر: العقيدة والشريعة في الإسلام ، ترجمة محمد يوسف موسى وعبد العزيز عبد الحق وعلي حسن عبد القادر ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ص 9 .

2- اجناس جولد تسيهر : العقيدة والشريعة في الإسلام، ص 135 ، 136 .

3-آدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة محمد عبد الهادي أبوريدة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ج2 ، ص 466 .

4-العهد الجديد : بشارة لوقا(مثل الزارع) ، دار الكتاب المقدس ، لبنان ، ط1 ، 1993م ، ص 104 ، الإصحاح 8 ، العدد 4 - 8 .

وهو (أي المثل) نص حديث نبوي شريف يرويهِ مسلم في صحيحه من كتاب الفضائل باب بيان مثل ما بعث النبي صلى الله عليه وسلم به من الهدى والعلم⁽¹⁾ .

كذلك يرى جولد تسيهر أن محمداً صلى الله عليه وسلم أخذ من الكتابيين الذين أسلموا والذين كانوا يبحثون عن إرضائه ، مسألة تحريف التوراة والإنجيل ، يقول : "تحريف الوحي القديم وغموضه ، اللذان أصبحا مناط شكواه ، صار لهما منذ ذلك الوقت أهمية كبيرة في تكوين فكرته عن رسالته النبوية وما تتطلب من واجبات ، ذلك بأن بعض الذين مالوا عن دينهم الأول ، والذين كانوا يرغبون في مرضاته قد قوّوا فيه عقيدة أن أنصار الدين القديم كانوا قد حرّفوا الكتاب ، وأنهم أخفوا البشارات التي جاء بها أنبياء التوراة وأنبياء الإنجيل عن ظهوره في المستقبل .."⁽²⁾ .

ولكن كيف وصلت العناصر اليهودية والنصرانية إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، أو كيف اقتبسها وتبناها ، والقرآن الكريم أبطل عقائد اليهود التي تقوم على وصف الإله بصفات البشر ، والتي وصفت الأنبياء بما لا يليق بهم ، وأبطل عقائد النصارى التي تقوم على التثليث والصلب وادعاء ألوهية المسيح عليه السلام ، والتي جاءت في العهدين القديم والجديد وفي تقاليد أهل الكتاب ورواياتهم ، فكيف تكون هذه العناصر جزءاً من القرآن الكريم ؟⁽³⁾ .

2 - من مؤلفاته كذلك كتاب (مذاهب التفسير الإسلامي) ، يقرر في هذا الكتاب لأجل إبطال صدق النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، يقرر أنه لا يوجد كتاب اعترفت به طائفة دينية اعترافاً عقائدياً على أنه نص منزل أو موحى به من الله تعالى ، يقدم نصّه في أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات كما نجد ذلك في القرآن الكريم المنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم⁽⁴⁾ .

ومعنى الاضطراب وعدم الثبات في النص - الذي يعنيه - هو وروده على صور مختلفة أو متضاربة متناقضة لا يعرف الصحيح الثابت منها ، وفي هذه المسألة غاب عنه ملاحظة كتب الملل السابقة كالتوراة والإنجيل في نصوصهما الأصلية ، كيف هي متضاربة ومختلفة اختلافاً جذرياً ، رغم أنه يقر في كتابه بوجود نسخ كثيرة ومختلفة من التوراة⁽⁵⁾ .

1- مسلم: الجامع الصحيح، ج 7 ، ص 63 .

2- اجناس جولد تسيهر: المصدر السابق ، ص 13 .

3- محمد يوسف موسى وعبد العزيز عبد الحق وعلي حسن عبد القادر: هامش كتاب (العقيدة والشريعة في الإسلام) لاجناس جولد تسيهر، ص 18 .

4- اجناس جولد تسيهر: مذاهب التفسير الإسلامي ، ترجمة عبد الحلیم النجار ، دار اقرأ ، بيروت ، ط 5 ، 1992 ، ص 4 .

5- اجناس جولد تسيهر: مذاهب التفسير الإسلامي ، ص 86 ، وعبد الحلیم النجار : هامش كتاب (مذاهب التفسير الإسلامي) لاجناس جولد تسيهر ، ص 4 .

أما بالنسبة للقرآن ، فقد زُوي بقراءات متعددة متواترة صحيحة السند والرواية إلى منتهاها ومصدرها ، من النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا ، وهناك قراءات آحاد ، لم تصل في روايتها حد التواتر ، وهي لا تعد قرآنا .

أما التوراة والإنجيل ، فلا سند لهما ولا رواية ، وكتبنا بعد عهود الأنبياء عليهم السلام بقرون عديدة ، وزيدت فيهما نصوص كثيرة ، وحذفت منهما نصوص كثيرة ، ونسخهما عديدة ومتناقضة ومختلفة فيما بينها إلى حد كبير .

لم يصدر هذا المستشرق في كتابه عن قراءة للقرآن واطلاع عليه ، ولا عن قراءة متأنية لحديث النبي صلى الله عليه وسلم واطلاع على مصادره ، وإنما هو يردد أقاويل أغلب المستشرقين والمنصرين .

ب - المستشرق الألماني تيودور نولدكه⁽¹⁾ الذي يتحدث عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم باعتباره كائنا بشريا لا يوحى إليه ، ومتأثرا بما حوله من المؤثرات الدينية والاجتماعية والسياسية ، خاصة من أهل الكتاب كما يدعي ، ويدرس تاريخ ونشأة كل سورة من سور القرآن ، باعتبار أن كتبها ورواها يضيفون إليها أحيانا بعض الفقرات والكلمات ، وفيما يكتب يشبه النص القرآني بالنص التوراتي أو الإنجيلي ، حيث أضيفت لهما الكثير من الفقرات والكلمات من الناسخين أنفسهم .

يرى هذا المستشرق أن محمدا صلى الله عليه وسلم اقتبس من الغرباء عقائدا وقصصا دينية قديمة ، واعتكف وحيدا في غرته في غار حراء ليكوّن ويصوغ أفكارا جديدة ، ثم ظهر لقومه كنبى ورسول⁽²⁾ . ووفق رأيه هذا لا وجود لوحي من الله تعالى إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنما المصدر الأساسي للوحي الذي جاء به النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، هو ما تحمله الكتابات اليهودية ، وتعاليم محمد صلى الله عليه وسلم - وفق رأيه - تنطوي في جلها كما ورد في السور القرآنية على ما يشير إلى مصادرها الكتابية⁽³⁾ .

وفي الرد عليه نقول : إنه لو كان النبي صلى الله عليه وسلم تلقى عن علماء اليهود أو النصارى خبرا أو حديثا لنقل ذلك أصحابه الذين لم يدعوا أي شيء عُلم عنه أو قيل فيه إلا ورووه . ولو حدث أنه تلقى عن غيره لاحتج عليه أعداؤه من أهل الشرك ومن أهل الكتاب ، واتخذوا ذلك شبهة يستندون إليها في أن ما يدعيه من الوحي قد تعلمه في الشام من النصارى ، وكانوا يوردون

1-المستشرق تيودور نولدكه(1836 - 1930م) : ولد في هامبورج بألمانيا ، وتعلم اللغات السامية والتركية والفارسية ، واستكمل دراسته في عدة مدن أوربية ، وعين أستاذا للغات السامية والتاريخ الإسلامي ، وأستاذا للتوراة واللغات السامية ، ونال جائزة مجمع الكتابات والآداب في باريس على رسالته : (أصل وتركيب سور القرآن) ، والتي أعاد النظر فيها ونشرها بعنوان : تاريخ القرآن ، وله آثار ودراسات استشرافية عديدة . (نجيب العقيلي:المستشرقون، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الرابعة، ج2 ، ص 379 ، 380) .

2-تيودور نولدكه : تاريخ القرآن ، ترجمة جورج تامر ، منشورات الجمل ، ألمانيا - بغداد ، ط2008م ، ص 4 .

3-تيودور نولدكه : المصدر السابق ، ص 7 ، 343 .

عليه ما هو أضعف من هذه الشبهة ، وهو أنه كان في مكة غلام أعجمي ، يقف النبي صلى الله عليه وسلم عنده أحيانا ، فاتهموه بأنه يتعلم منه ، فردّ الله عليهم بقوله : (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ، لسان الذي يلحدون إليه أعجمي ، وهذا لسان عربي مبين) (1) (2) .

آيات القرآن صريحة في أنه صلى الله عليه وسلم وقومه لم يكونوا يعرفون شيئا من أخبار الرسل والأنبياء وقصصهم قبل مجيء الوحي من الله تعالى ، ومن الشواهد على ذلك قوله تعالى : (وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ، ولكننا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر ، وما كنت ثاويًا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ، ولكننا كنا مرسلين) (3) (4) ، وقوله تعالى : (قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم ، تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ، فاصبر إن العاقبة للمتقين) (5) (6) .

ثم إنه لم يرد في الأخبار الصحيحة أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان يرجو أن يكون هو النبي المنتظر ، الذي كان يتحدث عنه بعض علماء اليهود والنصارى قبل بعثته ، ولو رُوي شيء من ذلك لرواه المؤرخون ، كما رووا مثله عن أمية بن أبي الصلت (7) الذي كان ينتظر النبوة ، بل أخبر القرآن الكريم أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن يرجو هذا ولا يؤمله ، قال تعالى : (وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك) (8) (1) .

1- النحل 103.

2- ورد في سبب نزول الآية ، عن عبد الله بن مسلم الحضرمي أنه كان لهم عبدان من أهل اليمن ، وكان يقال لأحدهما يسار ، والآخر جبر ، وكانا يقرآن التوراة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما جلس إليهما ، فقال كفار قريش : إنما يجلس إليهما يتعلم منهما ، فأنزل الله تعالى : (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ، لسان الذي يلحدون إليه أعجمي ، وهذا لسان عربي مبين) [النحل 103] . (سيد بن محمود آل سليم : المصدر السابق ، ص 115) .

3- القصص 44 ، 45 .

4- القرطبي : المصدر السابق ، ج 13 ، ص 291 .

5- هود 48 ، 49 .

6- القرطبي : المصدر السابق ، ج 9 ، ص 49 .

7- هو أمية بن أبي الصلت ، أبو الحكم الثقفي ، شاعر جاهلي ، قدم دمشق قبل الإسلام ، قيل : إنه كان يتمنى النبوة وينتظرها ، وقيل : إنه كان مستقيما ، وإنه كان في أول أمره على الإيمان ، ثم زاغ عنه ، وإنه هو الذي أراد الله تعالى بقوله : (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين) [الأعراف 175] . (ابن كثير الدمشقي : السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة ، بيروت ، ط 1983 ، ج 1 ، ص 122 ، 133) .

8- القصص 86.

ويرى هذا المستشرق أن القرآن يمنح صفة النبوة للأنبياء الذين سبقوا محمدا صلى الله عليه وسلم ، كما يدّعي أن محمدا يميز نفسه ويضعها في مرتبة أسمى منهم ، ويعطي لنفسه معنى ختاميا (خاتم النبيين) (2) .

وهذا الادعاء غير صحيح ، وهو قول لا دليل عليه ، فالأنبياء جميعا في القرآن ذوو رسالة واحدة ، جاؤوا بالدعوة إلى توحيد الله تعالى في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات ، ولم يفرق القرآن في الإيمان بالرسول بين رسول ورسول ، قال تعالى : (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه ، والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله) (3) .

ثالثا - خاتمة :

توصلنا في هذا المقال إلى أن الخلفيات والرواسب العقائدية والسياسية والعرقية والإعلامية التي ينطلق منها بعض المستشرقين لدراسة حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وحديثه وسيرته العطرة هي التي تحكم بوجه عام نتائج أبحاثهم وكتاباتهم .

وهؤلاء المستشرقون لا يؤمنون بالوحي النبوي على أنه من الله سبحانه ، وإنما يتصورون أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم فاض عليه الإلهام من نفسه لا من غيره ، ذلك أن نفسه السامية وسيرته الطاهرة وقوة إيمانه بالله تعالى وبوجوب عبادته ، وترك عبادة الأوثان والأصنام والحجارة ، يكون لها كلها من التأثير ما يتجلى في عقله ونفسه من الرؤى والمنامات والأحوال الروحية ، فيتصور ما يعتقد الإيمان به إرشادا إلهيا نازلا من السماء .

وقد يكون الوحي النبوي وفق هؤلاء تعبيرا عن قراءة للتوراة والإنجيل ، واقتباسا منهما وتأثرا بما فيهما ، بحجة أنه كان بمكة يهود ونصارى يسكنون فيها أو في نواحيها ، ويتحدثون بقصص عن دينهم وأنبيائهم .

وأحيانا لا يشك هؤلاء المستشرقون في صدق النبي محمد صلى الله عليه وسلم فيما يخبر به من كل ما سمع ورأى ، وإنما يقولون إن مصدر ذلك السماع وتلك الرؤيا من نفسه ومن مخيلته ، وليس هناك خبر أو حديث جاء من عالم الغيب ، لأن هذا الغيب لم يثبت وجوده، وبهذا يكون النبي كالفيلسوف المتأمل الذي يرى بواسطة المخيلة القوية ويشاهد أحوالا ومواقف غير عادية ، أو أنه في كل ما يخبر به تلقاه عن علماء اليهود أو النصارى .

1- القرطبي : المصدر السابق ، ج13 ، ص 321 .

2- تيودور نولدكه : المصدر السابق ، ص 19 .

3- البقرة 285 .

ومع هذا يجب ألا نغفل ما قدّمه فريق من المستشرقين من أبحاث ودراسات قيّمة مفيدة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته وأخلاقه في السلم والحرب وعلاقاته مع زوجاته وأصحابه ومع غير المسلمين ، وهذا الفريق ينبغي جمع أعمالهم وآثارهم وتقييمها والاستفادة منها .

رابعا - مصادر البحث:

- 1 - القرآن الكريم .
- 2 - كتب الصحاح والسنن .
- 3 - آدم متر : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر .
- 4 - اتين دينيه وسليمان بن إبراهيم : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ترجمة عبد الحلیم محمود ومحمد عبد الحلیم ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1981 .
- 5 - اجناس جولد تسيهر: العقيدة والشريعة في الإسلام ، ترجمة محمد يوسف موسى وعبد العزيز عبد الحق وعلي حسن عبد القادر ، دار الرائد العربي ، بيروت .
- 6 - اجناس جولد تسيهر : مذاهب التفسير الإسلامي ، ترجمة عبد الحلیم النجار ، دار اقرأ ، بيروت ، ط5 ، 1992 .
- 7 - أحمد محمد الفاضل : الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن الكريم ، مركز الناقد الثقافي ، دمشق ، ط1 ، 2008 .
- 8 - تيودور نولدكه : تاريخ القرآن ، ترجمة جورج تامر ، منشورات الجمل ، ألمانيا - بغداد ، ط2008 .
- 9 - جيرالد ديركس: الصليب والهلال ، محاورة في العقيدة بين المسيحية والإسلام، ترجمة فخري اللقيس ، دار اليمامة ، بيروت ، ط1 ، 2009 .
- 10 - القرطبي (أبو عبد الله): الجامع لأحكام القرآن ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط1965 .
- 11 - ابن كثير الدمشقي : السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة ، بيروت ، ط1983 .

- 12 - محمد إبراهيم شريف : اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم ، دار السلام ، مصر ، ط 1 ، 2008 .
- 13 - مراد هوفمان: الإسلام كبديل ، ترجمة غريب محمد غريب ، مؤسسة بافاريا للنشر ، ميونيخ ، ط 1 ، 1993 .
- 14 - مسلم : الجامع الصحيح ، دار الفكر ، بيروت .
- 15 - ناصر مجد : ناصر الدين ديني ، حياته وأفكاره ، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط 1 ، 2011 .
- 16 - نجيب العقيقي : المستشرقون ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الرابعة .
- 17 - العهد الجديد : بشارة لوقا ، دار الكتاب المقدس ، لبنان ، ط 1 ، 1993 م .
- 18 - الموسوعة المفصلة في الفرق والأديان والملل والمذاهب والحركات القديمة والمعاصرة : إعداد مكتب التبيان ، إشراف علمي حسن عبد الحفيظ أبو الخير ، دار ابن الجوزي ، القاهرة ، ط 1 ، 2011 م .
- 19 - موقع الألوكة الالكتروني .